المخطوطات العربية فى المكتبة البودلية

بقلم الدكتور ب . كاله

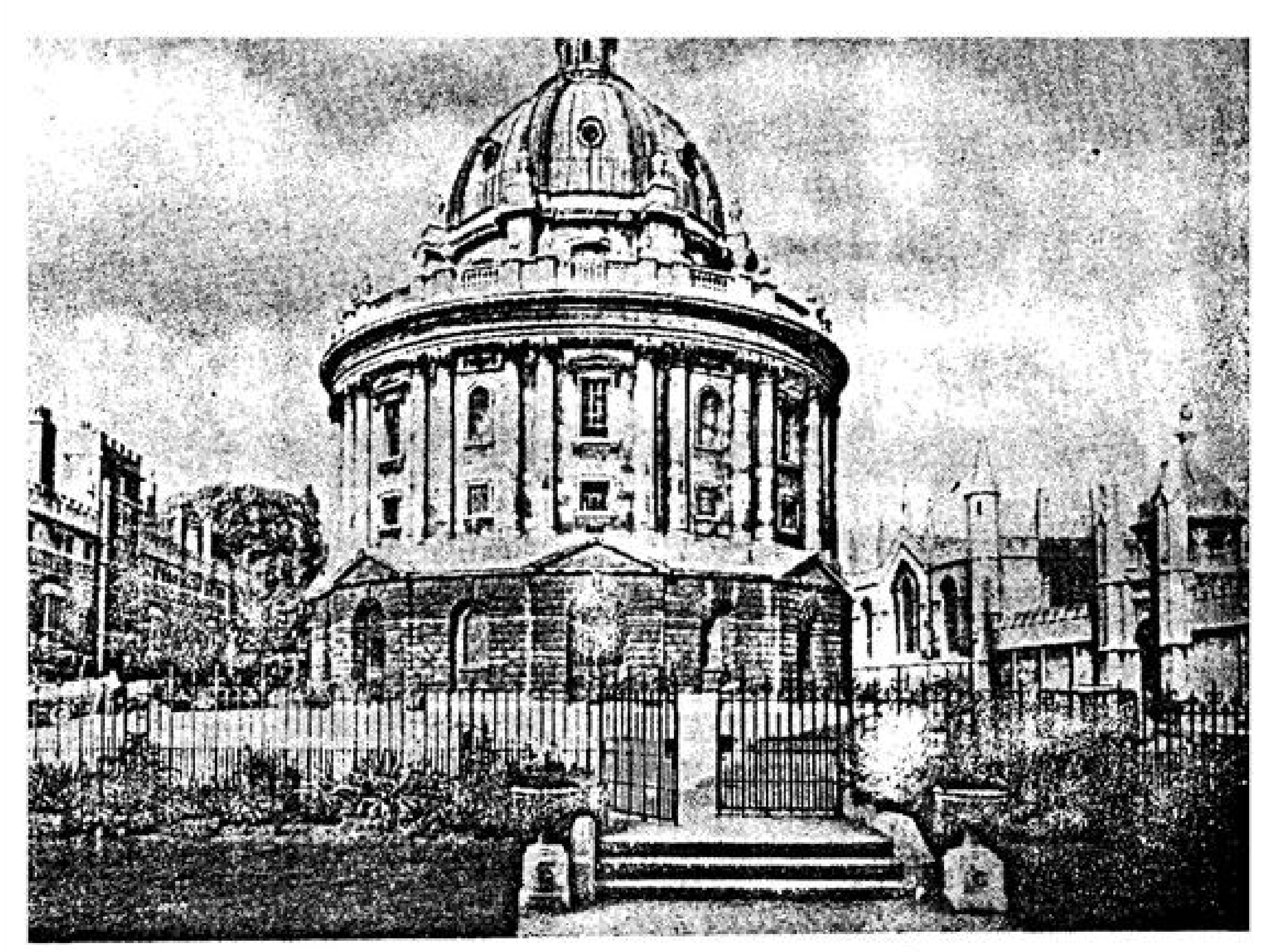
أسست المكتبة البودلية فى سنة ١٦٠٣ أى قبل إنشاء مكتبة المتحف البريطانى بنحو مائة وخمسين عاما، وهى تحتوى على مجموعة بن أكبر مجموعات المخطوطات العربية فى أوربا فهى زهاء ثلاثة آلاف مخطوطة . ومن أسباب هذا أن قسما عظيما من هذه المخطوطات قد جمع فى الشرق الأدنى فى وقت كانت العناية فيه بهذه الدراسات ضئيلة فى بقية أوربا .

ذلك أن إدوارد بوكوك (١٦٠٤—١٦٩١ م) المستشرق من اكسفورد قد قضى اكثر من عشر سنوات فى الشرق (من سنة ١٦٢٩ إلى سنة ١٦٣٦ كان فى حلب ومن ١٦٣٧ إلى ١٦٤٠ كان فى القسطنطينية) حيث قام بجمع المخطوطات العربية لنفسه ولآخرين، فمن بين المخطوطات الألف والثلاثمائة القيمة التى أهداها رئيس الأساقفة لود بين سنتى ١٦٣٥ و ١٦٤٠ إلى المكتبة البودلية كان عدد قد جلبه بوكوك . وأما مجموعته الخصوصية المحتوية على ٤٢٠ مخطوطة عربية فقد حصلت عليها المكتبة بعد وفاته .

ثم إن روبرت هنتنجتون (١٦٣٧—١٧٠١ م) الذى أقام بحلب عشر سنوات من ١٦٧١ إلى ١٦٨١ قد جمع ٦٨٠ مخطوطة أغلبها عربى امتلكتها المكتبة بعد وفاته، كما أنه ابتاع مخطوطات كثيرة لاجل علماء آخرين كانوا مهتمين بهذه الدراسات وخاصة لتوماس مارشال (١٦٢١—١٦٨٥ م) رئيس كلية لنكولن الذى اوصى بمجموعته من ١٥٩ مخطوطة عربية إلى المكتبة، كما اوصى بمجموعة نارسيوس مارش (١٦٣٨—١٧١٣) المحتوية على ٧١٤ مخطوطة عربية . إلا أن أثمن المخطوطات كانت فى حيازة الأستاذ جوليوس (١٥٩٦—١٦٦٧) المستشرق الكبير الشأن فى ليدن . وهو نفسه قد قضى أربع سنوات (١٦٢٥—١٦٢٩) فى الشرق

الأدنى . وإن المخطوطات التى حصل عليها لتدل على مهارته وعلمه .
وحين بيعت مكتبته فى ليدن سنة ١٦٩٦ تحصل الأسقف مارش على عدد عظيم من مخطوطاته الثمينة . ووصلت إلى المكتبة مجموعات أخرى من المخطوطات، ففى سنة ١٨٠٥ بعض مخطوطات عربية جمعها جيمس فيليب دورفيل، وفى ١٨٠٩ مجموعة من المخطوطات ابتاعها فى الشرق الأدنى ا . د . كلارك ومن بينها عدد من المخطوطات العربية . وفى سنة ١٨٤٣ ابتيعت المجموعة القيمة من المخطوطات الشرقية التى جمعها الرحالة الاسكتلندى الشهير جيمس بروس المولود فى كنارد (١٧٣٠—١٧٩٤) وكانت تحتوى على سبعين مخطوطة عربية . وفى سنة ١٨٥٩ أهدى ج . ب . إليوت من كلكتا إلى المكتبة مجموعة ثمينة محتوية على ٤٢٢ مجلدا من المخطوطات العربية والفارسية، وهى يتكون أغلبها من المخطوطات التى حصل عليها السير جور أوزلى من رجال السلك الدبلوماسى (١٧٧٠—١٨٤٤) بينما كان فى عمله فى الشرق ثم اشتراها بعد ذلك المستر إليوت .

وحين اعتقدت جامعة اكسفورد فى سنة ١٧٦٦ ان الوقت قد حان لتصنيف فهرست للمخطوطات الشرقية وقع الاختيار على جون يورى (١٧٢٦—١٧٩٦) لهذا العمل . وكان يهوديا مجريا درس الآداب الشرقية على الأستاذ شولتنس فى ليدن . وبعذ أكثر من عشرين عاما قضاها منكبا على هذا العمل نشر فهرسته فى سنة ١٧٨٧ وفيه وصف ما يقرب من ١٤٠٠ مخطوطة عربية . ولم يكن من السهل فى ذلك الوقت تدوين المخطوطات العربية فى فهرست فان أغلب كتب السير والمراجع لحياة المؤلفين التى هى الآن فى حوزتنا لم تكن موجودة إذ ذاك، وهكذا لم يكن الفهرست ذا نتيجة مرضية تماما ولا هو يقدم وصفا كافيا للمخطوطات، أضف إلى ذلك أنه لم يتناول كل المخطوطات بالوصف وأن مخطوطات أخرى كثيرة قد أهديت إلى المكتبة بعد ذلك . وكان من نتيجة ذلك أنه لما صار اسكندر نقول (١٧٩٣—١٨٢٨) وكيل المكتبة



المكتبة البودلية فى اكسفورد .

البودلية فى سنة ١٨١٤ وسنه إذ ذاك لا تتعدى الحادية والعشرين ابتدأ فى تحضير المجلد الثانى من الفهرست . واستمر فى هذا العمل بعد أن صار أستاذا ملكيا فى العبرانية وقسيسا بكنيسة المسيح فى سنة ١٨٢٢، ولما قضى نحبه فى سنة ١٨٢٨ ولما يزل فى عنفوان شبابه خلفه الأستاذ إدوارد بوفرى بوسى (١٨٠٠—١٨٨٢) وواصل العمل الذى بدأه نقول . وقد نشر المجلد الثانى من الفهرست فى سنة ١٨٣٥ وفيه تنوول نحو ٣٠٠ مخطوطة عربية أخرى بالوصف وعملت تصحيحات وإضافات كثيرة إلى فهرست يورى . وكان هذا الفهرست على قدر أعظم من الدقة مما كان عليه الاول .

ولكن أعظم مخطوطات المكتبة القيمة موصوفة فى مجلد يورى الاول، وإن كان نقص وصفه كثيرا ما يجعل من الصعب تقدير الأهمية الحقة للمخطوطات الموصوفة هناك، فمن هو الذى يقرأ الملحوظات الموجزة عن

مخطوطة مارش ٤٥٨ (يورى ٣٠٣) ويدرك أن هذه مخطوطة من أنفس المخطوطات المصورة لمقامات الحريرى، أو من هو الذى اذ يقرأ الملحوظة عن مخطوطة بوكوك . . ٤ (يورى ٣٠٦) يدرك أنها من أهم المخطوطات المصورة للترجمة العربية لكليلة ودمنة التى ترجمها عبد الله بن المقفع ! وكذلك إذا قرأنا الأوصاف المختزلة التى كتبها يورى تحت رقم ٨٨٤ ورقم ٨٨٧ لا نكاد نحصل على فكرة صميمة عن أهمية مخطوطتين لكتاب الشريف الادريسى وما فيهما من خرائط قيمة . إلا أن فهرست يورى يحتوى على الأقل على قائمة بما هو محفوظ فى المكتبة .

ولعلنا نستطيع الآن أن نعطى بضع ملحوظات عن قليل من المخطوطات الهامة فى المكتبة البودلية .

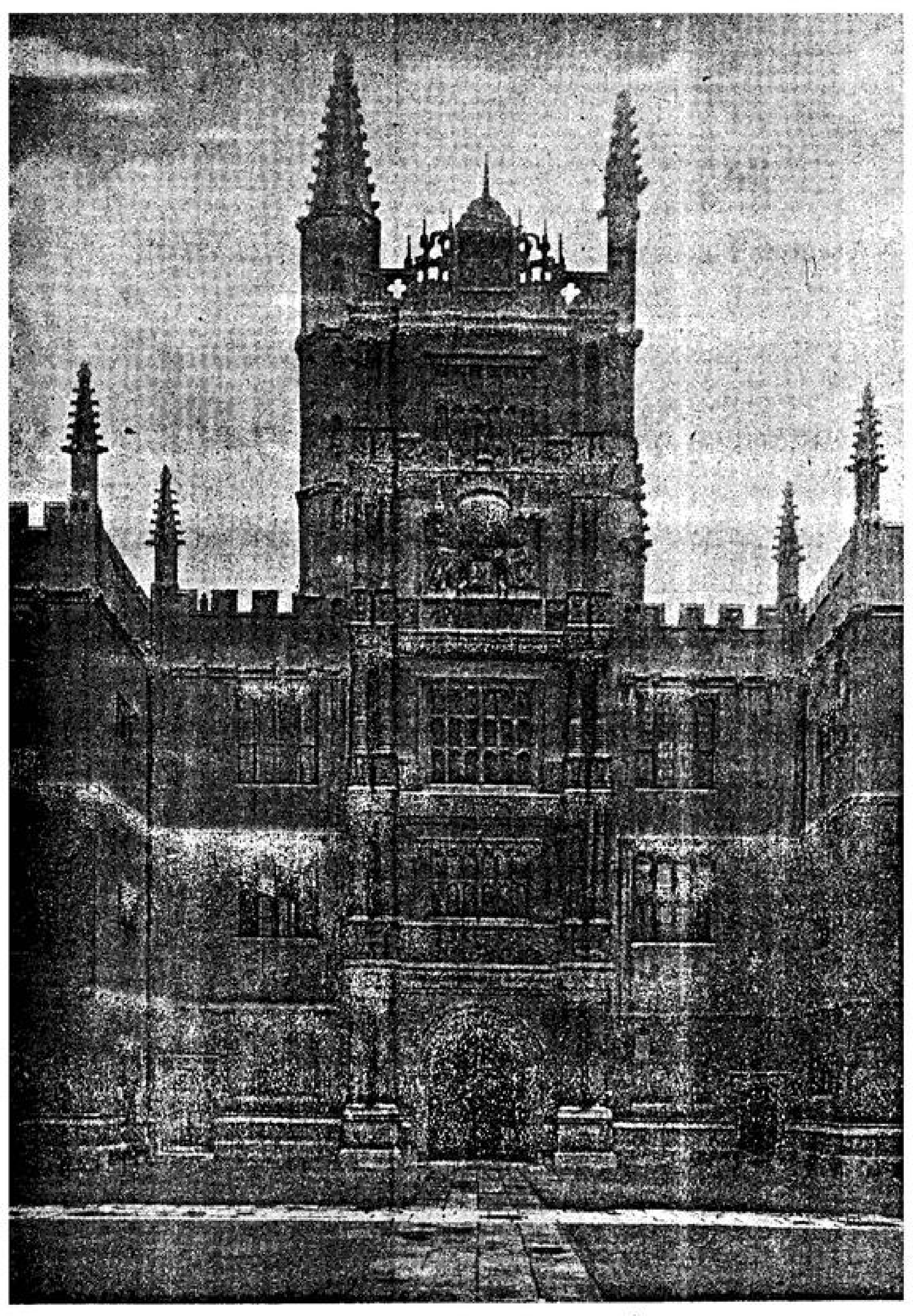
كتب المراجع والمصادر . فى حوزة المكتبة نسخة ثمينة كاملة من (كشف الظنون) ذلك المعجم الهام للمراجع الذى ألفه حاجى خليفة وقد كتبت هذه النسخة فى سنة ١١٦٤ هجرية . وقد حصل على هذه النسخة الأستاذ نقول فى سنة ١٨٢٢ من مكتبة المفتى فى القسطنطينية ولهذه النسخة قيمة خاصة إذ أنها تتضمن تواريخ وأسماء لا توجد فى النصوص المطبوعة للكتاب وإلى جانب ذلك كثيرا ما يختلف النص عن النسخ المعروفة . ولا بد أن هذه المخطوطة نسخة من الكتاب قام المؤلف نفسه بعمل تصحيحات وتكميلات كثيرة فيها . وهى موصوفة تحت رقم ٤٢٢ من المجلد الثانى للفهرست .

التاريخ . فى كتاب (الفتح القسى فى الفتح القدسى) يتناول عماد الدين الكاتب الاصبهانى وقائع فتح فلسطين حتى وفاة السلطان صلاح الدين الايوبى (٥٨١—٥٨٩ هجرية)، وقد كان الكاتب على علاقة شخصية وثيقة بالسلطان . ثم إنه أضاف إلى كتابه هذا ملحقين يتناول فيهما ما حدث من الأحداث حتى عام وفاته سنة ٥٩٧ هجرية . وقد ضاع هذان الملحقان ولكن أبا شامة (المتوفى سنة ٦٦٥ هجرية) قد اعتمد عليهما إلى حد كبير فى تأليف كتابه (كتاب الروضتين) إلا أن تاريخ صلاح الدين فيما سبق ذلك

من الزمن أعظم أهمية، وعلى هذا التاريخ أوقف عماد الدين كتابه (البرق الشامى) وهو مذكرات فى سبعة مجلدات جمع فيها المؤلف كل الرسائل الرسمية والوثائق التى كتبها السلطان أو كتبت باسمه والمجلد الخامس من هذا الكتاب يتناول بالوصف حوادث سنتى ٥٧٨ و ٥٧٩ وهو متضمن فى مخطوطة مارش ٤٢٥ (يورى ٧٦١) والمجلد الثالث يشمل السنوات من ٥٧٣ إلى ٥٧٥ وهو متضمن فى مخطوطة بروس ١١ . وهذان المجلدان مختلفا الحجم ولكن كلا منهما قديم ومعاصر تقريباً للمؤلف . ثم إنهما وحيدان . والملحوظة القائلة بأن نسخة من هذا الكتاب محفوظة فى لننجراد خاطئة (تذكرة النوادر صفحة ٨١ وكررها بروكلمان فى الملحق جزء ١ صفحة ٣١٥) فالأستاذ كراتشكوفسكى قد كتب إلى قائلا إن مخطوطة لننجراد هى فى الحقيقة نسخة من فتح فلسطين .

وقد طبع (صبح الأعشى فى صناعة الانشاء) ذلك الكتاب الهام للقلقشندى فى القاهرة سنة ١٣٣١—١٣٣٨ هـ ١٩١٣—١٩١٩ م من نسخة قيمة أكملت فى سنة ٨٨٩ هـ وهى تكاد تكون المخطوطة الوحيدة المعروفة للكتاب . والمجلدات الثالث والرابع والخامس والسادس من هذه المخطوطة موجودة فى القاهرة، وأما المجلدات الأول والثانى والسابع ففى حوزة المكتبة البودلية فى اكسفورد (الأول فى نسخة سلدن ٣١٥، يورى ٣٦٥، والثانى فى نسخة سلدن ٣١٥١، يورى ٣٦٦، والسابع فى نسخة مارش ٣١٧، يورى ٣٩٠) .

علم الفلك . إن المخطوطات التى تتضمن الملاحظات الفلكية التى عملت فى الشرق قد تحصلت عليها المكتبة ودرست دراسة دقيقة فى اكسفورد . والجداول الفلكية الجديدة التى نشرها فى سنة ١٤٣٧ ألغ بك أكبر أبناء شاهرخ الذى خلف أباه فى السلطنة موجودة فى المكتبة البودلية بالنص الفارسى (مخطوطة جريفز ٣٧٧٧، يورى فارسية رقم ٦٥) وبالنص العربى (مخطوطة ا . د . كلارك ١٨، نقول ٢٧٣) . وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن التواريخ المختلفة بما منها التأريخ الصينى، ومسالك



برج «الانظمة الخمسة» فى المكتبة البودلية .

الكواكب السيارة ومواضع الكواكب الثابتة كما لاحظها هو ورجاله الفلكيون فى مرصد سمرقند . وهذا الكتاب يعود الفضل فى تعريفه فى أوربا إلى الأستاذ جون جريفز وفى سنة ١٦٦٥ قام توماس هايد بنشر النص الفارسى لأقسام من الكتاب مصحوبا بترجمة لاتينية .

الطب . يخبرنا ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥١) أن أبا بكر حامد بن سمجون كان طبيبا عظيم القدر ذا براعة ممتازة فى فعل العقاقير المفردة وأوصافها وأن كتابه عن هذا الموضوع اشتهر بمزاياه وأنه قد بذل أقصى مجهوده فى تأليفه، والكتاب الذى ألفه اسمه (مجموعات أقوال المؤلفين والفلاسفة من سلف منهم ومن خلف عن المفردات) وقد ألف هذا الكتاب فى القرن الرابع الهجرى ويعتقد عامة الباحثين أنه قد ضاع . ولكن المتحف البريطانى قد تحصل حديثا على قسم منه (شرقية ١١٦١٤) وفى مخطوطة بروس ٤٧—٤٨ قد حفظ المجلدان الثانى والثالث من الكتاب فى نسخة جيدة قوبلت على المخطوطة الأصلية للمؤلف . وابن سمجون يروى فى كتابه عددا عظيما من أقوال المؤلفين من اليونان والرومان الذين كتبوا فى العقاقير المفردة . ولكتابه قيمة خاصة إذ أنه يقتبس بدقة أقوال كل المؤلفين من العرب فى القرنين الثالث والرابع الذين كتبوا فى العقاقير المفردة، والذين ضاعت معظم مؤلفاتهم . وإن ابن البيطار (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) فى كتابه المشهور (جامع مفردات الأدوية والأغذية) يذكر ابن سمجون فى مواضع كثيرة كمرجعه ولكنه يذكر فى مواضع اكثر عدداً الغافقى (المتوفى ٥٦٠ هـ) والكتاب الذى ألفه هذا عن المفردات قد نشر حديثا مختصره ضمن مطبوعات كلية الطب بالجامعة المصرية وناشراه الدكتور مايرهوف والدكتور صبحى (القاهرة ١٩٣٢) . ونحن الآن نجد أن الغافقى قد استمد جزءا كبيراً من تأليفه من ابن سمجون . كما أن ابن سمجون أحد المراجع الخمسة التى اعتمد عليها موسى بن ميمون فى تأليف كتابه (شرح أسماء العقار) الذى نشره أخيرا الدكتور مايرهوف (القاهرة ١٩٤٠)

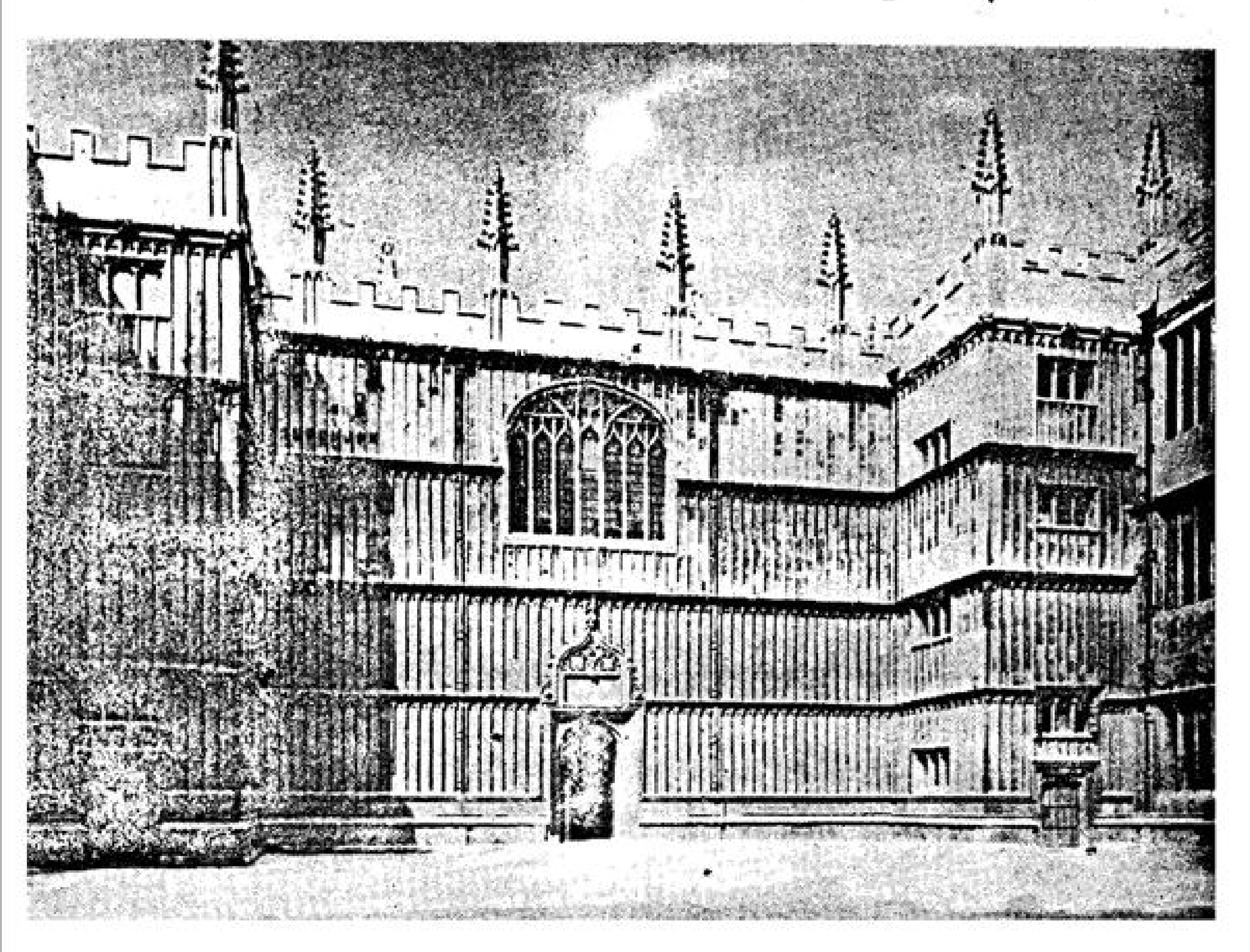
هذا وقد كان ديوسقوريديس عمدة هامة للكتب العربيـة فى العقاقير المفردة فكتابـه (فى هيولى علاج الطب) أو (الحشائش) قد ترجمه إلى العربية فى عهد مبكر اسطفان ابن باسيل تحت إشراف المترجم الذائع الصيت حنين بن اسحق (المتوفى سنة ٢٦٠ ﻫ) . وقد أهديت إلى المكتبة البودلية فى سنة ١٩١٢ نسخة ثمينة من المجلد الثانى من هذه الترجمة محلاة بتصاوير جميلة للنباتات (نسخة عربية د. ١٣٨) وتصاوير المخطوطة ترجع إلى تصاوير قديمة جدا فى المخطوطات اليونانية وهى تشبه التصاوير التى فى المخطوطة اليونانية رقم ٢١٧٩ فى باريس التى كتبت فى القرن التاسع . ومن العجيب أن النباتات فى هذه المخطوطة اليونانية كثيرا ما ترد اسماؤها بالحروف العربية . وتوجد اختلافات كثيرة بين المخطوطات المختلفة لهذه الترجمة فنحن نجد أن النساخين لم يقصروا عملهم على نسخ النص بل حاولوا تحسينه أيضا . وفى المخطوطة السابقة الذكر قد أضيفت إلى التصاوير الأسماء اليونانية للنباتات مكتوبة بحروف عربيـة . وقد كان هذا العمل دائما مشكلة حار فيها العرب . ونحن نعرف أن ابن جلجل (من رجال القرن الرابع) حاول تحقيق أسماء النباتات التى ذكرها ديوسقوريديس بالرجوع إلى مخطوطة يونانية مصوّرة أرسلها الامبراطور البيزنطى إلى قرطبة وعاونه زاهب يونانى اسمه نقولا أرسل إلى أسبانيا فى سنة ٣٤٠ هجريـة . والنص العربى لديوسقوريديس ليس بالنص اليونـانى الذى نقرؤه فى الطبعة الحالية التى نشرها ولمان، وفيه اختصارات وحذف كثير فهو يتطلب فحصا دقيقا .

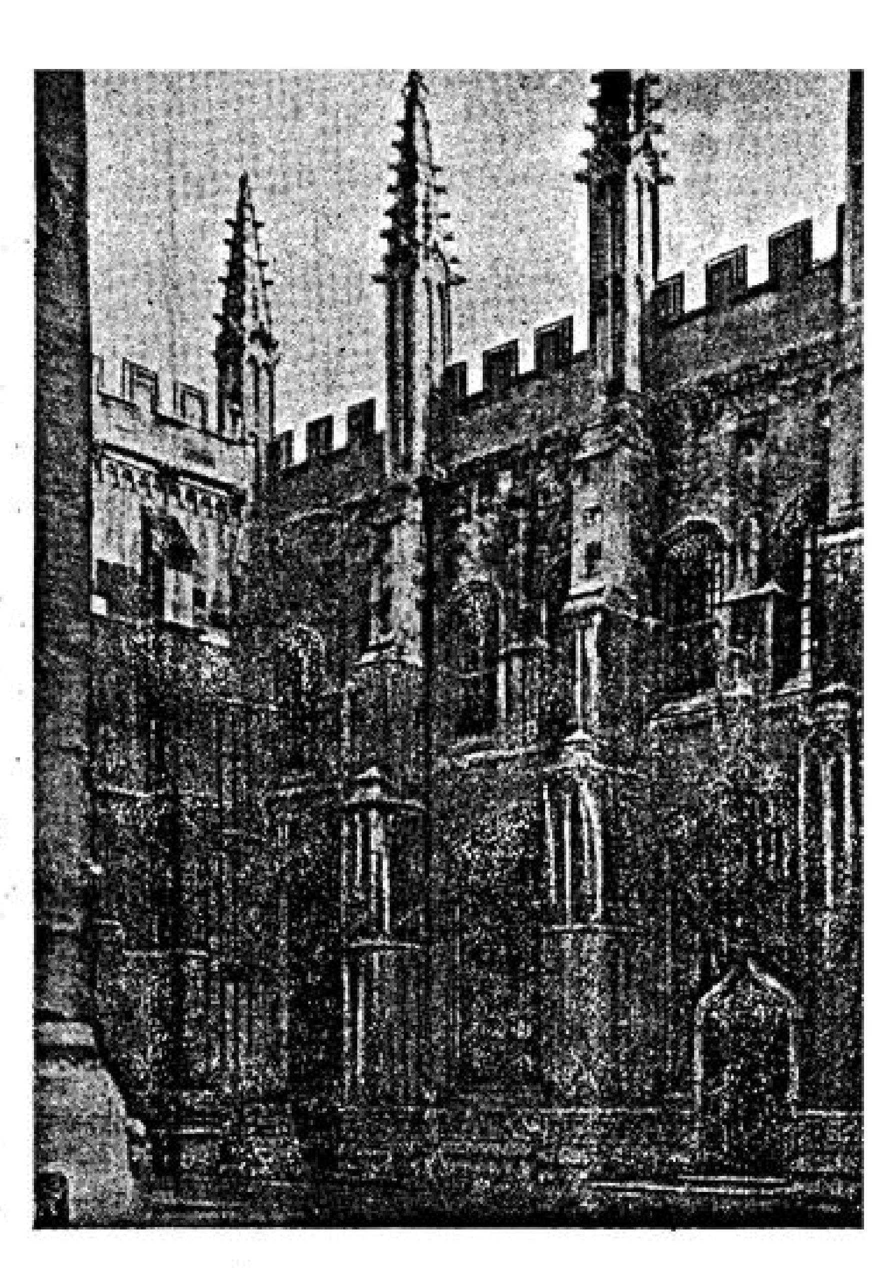
الشعر . أغلب معرفتنا بديوان الأعشى الذى عاصر النبى عليـه السلام راجعة إلى رواية ثعلب النحوى الكوفى المشهور (توفى سنة ٢٩١). ومخطوطة اسكوريال القديمة النفيسة تتضمن رواية ثعلب هذه وهى المرجع الأساسى لعلمنا بالديوان، ونحن نعرف سوى هذه المخطوطة ديوانا أكثر اختصارا تتضمنه مخطوطات القاهرة وليدن وباريس، ونعرف من فهرست ابن النديم أنـه كانت روايـات متعددة مختلفـة للديوان موجودة فى

زمانه وهى الآن قد ضاعت جميعها . ولكن المخطوطة البودلية العربية، د . ١٥٤ قد حفظت جزءا عظيما من ديوان الأعشى يختلف اختلافا شديدا عن الديوان كما عرف قبل ذلك فى كلتا صورتيه، وهذه المخطوطة تاريخها سنة ٧١٦ هجرية وهى مكونة من إحدى وستين ورقة تتضمن اثنتان وأربعون منها قصائد الأعشى وثمانى عشرة تتضمن قصائد امرىء القيس وكلا القسمين كتبه نفس النساخ . وهذه المخطوطة تحتوى على عدة قصائد غير موجودة بالكلية فى أى كتاب آخر . وكثير من مواضع النقص فى مخطوطة اسكوريال يمكن ملؤها من هذه المخطوطة . والمخطوطة إذا قورنت بالنصوص المعروفة من قبل تعطينا قراءات متعددة . ونص هذه المخطوطة يجب أن يدرس دراسة دقيقة إذا أريد إصدار طبعة جديدة صحيحة للديوان .

معاجم اللغة . كان كتاب العين للخليل أول محاولة لجمع الكلمات

الجانب الغربى للمربع البودلى .





منظر للمكتبة البودلية ومدرسة اللاهوت .

العربية كلها وشرحها . فقد وضع المؤلف (وقد توفى فى سنة ١٧٥ هـ) أبجدية عربية رتبت فيها الحروف بحسب مخارجها الصوتية مبتدئا بالعين وحروف الحلق ومنتهيا بحروف الشفه (الفاء والباء والميم) ثم بالواو والألف والياء . وقد حفظ قسم صغير من هذا الكتاب فى المخطوطة البودلية العربية أو . ٩ ٢ وهو يتناول الكلمات العربية التى يصحب فيها حرف الكاف حرف أو حرفان من الحروف التالية له فى أبجدية الخليل . وهذا القسم ذو قيمة عظيمة جداً اذ يذكر فيه اللغويون من العرب فى القرنين الثانى والثالث كلهم جميعا بلا استثناء واحد . والكتاب فى هذا الوضع لا بد أن يكون نتيجة دراسة دقيقة جداً لمؤلفات هؤلاء اللغويين العرب قام بها المصنف فى آخر القرن الثالث . ونحن نعرف أنه سرعان ما حل محل كتاب العين معاجم لغوية مرتبة على مبادىء أخرى وكان أولها جمهرة ابن دريد (المتوفى سنة ٣٢١ هجرية) وقد رمى نفطويه ابن دريد بأنه لم يفعل إلا أن أخذ ما فى كتاب العين ورتبه ترتيبا آخر . ويندر جداً أن توجد قطع من هذا الكتاب . والقطعة السابق ذكرها نموذج جيد للوضع الذى اتخذه الكتاب حوالى سنة ثلاثمائة هجرية .